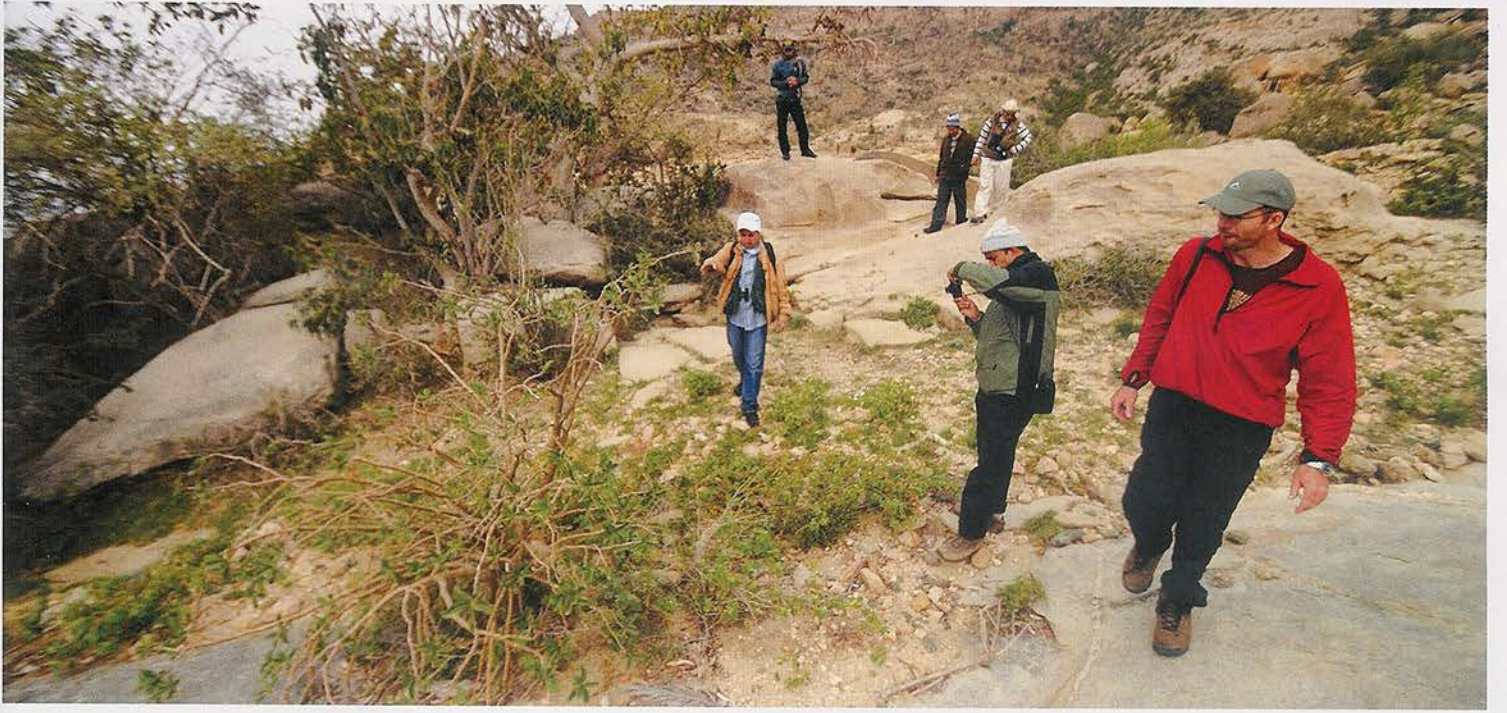




شباب بر..
شباب بحر

تقف في أثر آخر النمور العربية..

من كان ليظن أن نمورا تعيش في براري شبه الجزيرة العربية؟ ومن كان ليعتقد أن هيئة أو مؤسسة أو مركزاً يهتم لجمع المعلومات عن النمور العربية من أجل الحفاظ على ما تبقى منها؟
قد تبدو هذه الأسئلة غريبة بالنسبة لقارئ غير متابع أو لأي مواطن لا يعرف الكثير عن الحياة البرية في بلده، لكن للتذكير فقط فإن شبه الجزيرة العربية وتحديدًا المملكة العربية السعودية كانت مرتعا لنوع من النمور المقبلة على الانقراض، يطلق عليه اسم: النمر العربي.
في هذا التحقيق عرض لرحلة إلى محافظة تنومة مع فريق المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية في الطائف على خطى آخر النمور العربية.



الفريق أثناء صعوده إلى أعلى قمة في تنومة

النمر العربي مهدد بالانقراض بشدة، ومنطقة انتشاره الطبيعية هي المملكة العربية السعودية، واليمن، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، وينسب أقل في الأردن وفلسطين، هذا الخوف من انقراض النمر العربية هو ما يفسر الاهتمام الإقليمي بالمحافظة عليه وإكثاره، وهو ملف تتولاه الهيئة السعودية للحياة الفطرية، ممثلة بالمركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، الذي قاد هذه الرحلة، وجمع لها الخبراء والأكاديميين والمهتمين، وأشرك فيها أهالي منطقة تنومة وجيران النمر العربية.

وقبل الخوض في تفاصيل الرحلة، فإن الوقوف عند تحضيراتها يستلزم الرجوع زمنياً إلى أعوام مضت، فالمملكة عضو في اجتماع سنوي يعقد في الشارقة يناقش التطورات الخاصة بالخوف التي تهدد النمر العربية وتعرضها لخطر الانقراض. وفي هذا الاجتماع شارك المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالتعاون مع جمعية القطط البرية العالمية بإصدار ملف متكامل عن وضع هذا النوع الطبيعي في المملكة، عبر مجلتها الدورية.

وخلال الاجتماعات الإقليمية المتتالية تم التوصل إلى استراتيجية إقليمية، استرشدت بها كل دولة فيما بعد لوضع استراتيجيتها الوطنية الخاصة. واعتمدت استراتيجية المملكة على ثلاثة محاور رئيسية هي الإكثار في الأسر، والدراسات الحقلية، والتوعية الإعلامية.

الإكثار في الأسر

في عام ٢٠٠٧م بدأ في المملكة مشروع النمر العربي والمحافظة عليه، وعلى الرغم من أن الدراسات كانت موجودة منذ أكثر من عشرين عاماً، إلا أنها كانت تقتصر بشدة إلى التحديث، والتطوير، وكان ذلك مقصداً رئيساً للمشروع.

بدأ المشروع بتنفيذ المحور الأول من استراتيجية الإكثار في الأسر داخل

بعد صلاة الفجر مباشرة بدأت المغامرة، وقد يحدث أن تأتي الأحوال الجوية بما لا تشتهيهِ الأنفس، فيؤجل الضباب البحث، أو يضطر المغامرون لتعديل خططهم. وعادةً ما يبدأ البحث بتقفي آثار النمر من أعلى قمم الجبال والمشي وراءها نزولاً.

«ترحال» رافقت مغامرين قادتهم مهامهم ورحلتهم إلى إنقاذ أسطورة حية، ومكون طبيعي نادر يخشى عليه من الانقراض، في رحلة تحبس الأنفاس، عبر مرتفعات تنومة الساحرة ووديانها التي اقتفى المغامرون أثر آخر النمر العربية فيها.

في الأيام الأولى كان الضباب بالمرصاد، واضطر الفريق للنزول إلى مستوى أقل ارتفاعاً، ومن هناك بدأ المشي عبر الممرات الجبلية، نزولاً حتى الوادي. الآثار هي طرائد وفرائس اقتاتت عليها النمر، أو خدوش أحدثتها مخالبها في جذوع الأشجار أو على الصخور، أو فضلات يتم تحليلها عبر الفحص الوراثي لتحديد ما إذا كانت تعود للنمر العربي. كل هذه الآثار يتم تسجيلها ورصدها بدقة عبر «جي بي إس». والمهمة تستمر لرصد الكاميرات، فالنمر حيوانٌ تصعب مشاهدته مباشرة. والفريق مستمر رغم الشد العضلي الذي يعاني منه بعض أعضائه نتيجة المشي لمسافات طويلة منذ شروق الشمس وحتى غروبها. وفي النهاية تمكن الفريق من رصد الكاميرات في الأماكن المحددة بدقة، وانتهى بإعداد تقرير ختامي عن كل الآثار والمشاهدات، وتبقى الكاميرات لتقطع الشك باليقين، وتحدد بدقة أماكن وجود النمر العربي.





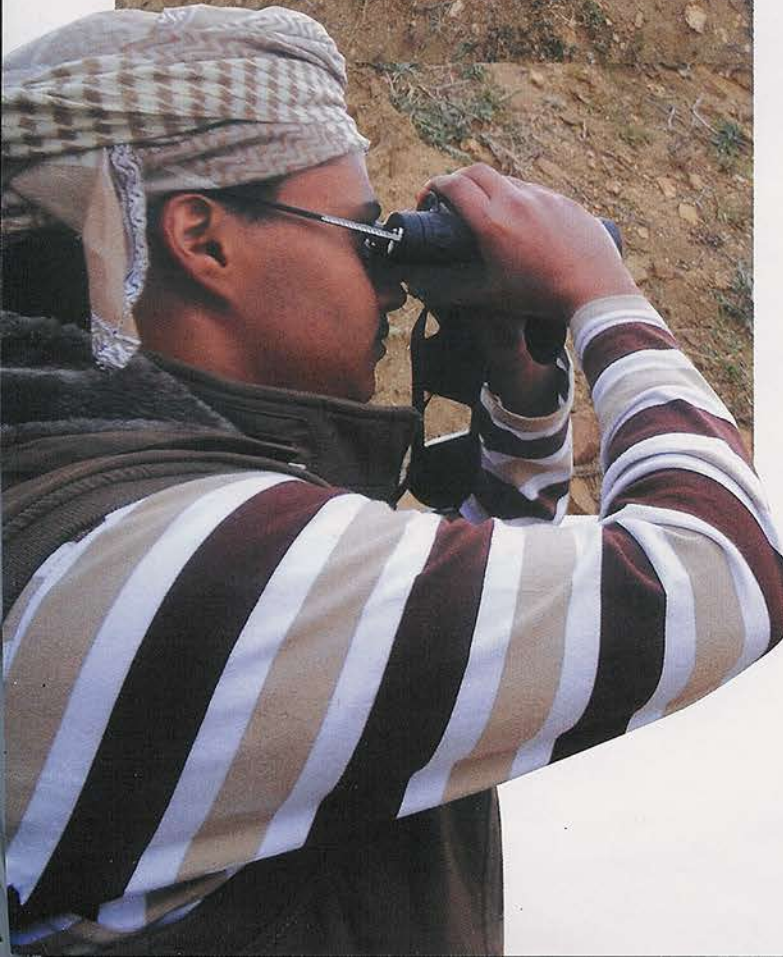
الفريق بين ثنايا الطبيعة

المسجلات التابعة للمركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، حيث يتم أسر النمر بهدف تكاثرها وإجراء الدراسات عليها بهدف التوصل إلى معلومات مفيدة ومهمة في معرفة الكيفية التي يمكن بها المحافظة عليها.

وقد تمت المرحلة الأولى عبر إخضاع أربعة نمور لبرنامج الإكثار في الأسر، ونجح حتى الآن في رفع العدد إلى اثني عشر نمرا عربيا. ويهدف المشروع إلى رفع العدد حتى ثلاثين نمرا. ومن أجل هذه الغاية يتم تبادل العينات الحية مع برنامج شبيه موجود في الشارقة لتفادي حدوث الانغلاق الوراثي الذي يحدث غالبا نتيجة تزاوج الأقارب. عائلة النمر المقيمة تحت الأسر ضمن برنامج الإكثار مسجلة في كتاب دولي يحتوي على شجرة نسب كل منها أسوة بالإجراء المتبع مع كل الأنواع الطبيعية النادرة والمعرضة لخطر الانقراض.

جيران النمر أبقي!

المحور الثاني وهو الأكثر أهمية في الاستراتيجية المتبعة لإنقاذ النمر العربي، كان التوجه الإعلامي الواسع، الذي يستهدف شرائح كثيرة على رأسها الجهات المعنية بحماية البيئة، والخبراء العاملين في المجال، والأكاديميين، لكن الرهان الأكبر للمشروع كان يعتمد على نشر الوعي وإدراك قيمة وأهمية النمر العربي لدى السكان المحليين في المناطق المجاورة لبيئات وجوده، فهؤلاء هم الأبقى والأقرب، وإدراكهم لأهمية وجوده وحمايته وقيمته كنوع طبيعي معرض للانقراض يضمن إنقاذه. في هذا السياق قام المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية في الطائف بتبني حملة إعلامية منظمة عبر كافة قنوات التواصل ممثلة بالمذياع، والتلفزيون، والصحافة المقروءة، وأيضاً عبر إنتاج فيلم وثائقي مدته عشر دقائق عن المفترسات الكبيرة في المنطقة بما فيها النمر العربي، والضباع، والذئب، والوشق. وشكلت هذه الاستراتيجية عنصراً أساسياً في تحقيق تعامل مهم ومطلوب، وعلاقة مباشرة مع الجهات ذات العلاقة.





الفريق تسنى له الاستمتاع بطبيعة المنطقة الساحرة أثناء مهمته

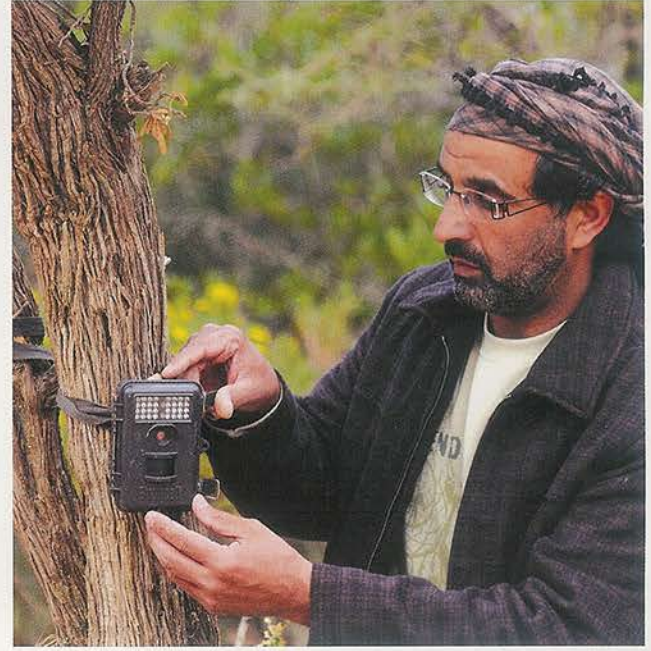
قريبة من منطقة الطائف بأن الهجمات التي تتعرض لها ماشيتهم سببها الذئب فقاموا بتسميم ما نفق، ولمّا كانت العودة إلى الفريسة مرة أخرى والافتيات بما بقي منها سلوكاً مشتركاً لدى العديد من فصائل القطط البرية ومنها النمر والذئب وغيرها، تعرضت النمر للتسمم ووجدت نافقة.



”خلال الرحلة، تم العثور على آثار وجود العديد من الأنواع البرية المتداخلة مع النمر والموجودة في بيئاتها، ووضع الكاميرات في المواقع المحتملة، ودراسة وتحديد أهم مواقع وجود النمر.“



هذه الحادثة المؤسفة لم تكن منفردة، فحالة أخرى مشابهة في المدينة المنورة، وحالتان في النماص وعسير شكّلت فيها بقايا النمر العربية النافقة أدلة مادية على وجودها، وبقي نصب الكاميرات لرصد الحركة. وبعد ورشة عمل مكثفة لمدة خمسة وعشرين يوماً تم تدريب فريق



تثبيت كاميرا المراقبة في أحد المواقع التي يحتمل وجود النمر العربي بها

تقفي النمر

المحور الثالث في الاستراتيجية يختص بالدراسات الحقلية، حيث يتم عقد ورش عمل متعددة لخدمة هدف إنقاذ النمر العربية من الانقراض عبر حماية وجودها في بيئاتها الطبيعية في المملكة، وإكثارها. هذه الورش تستهدف فئات مختلفة، منها العاملون في حقل حماية البيئة في المملكة، والجامعات، والخبراء المشاركون من الخارج، وحيث إنّ المملكة هي أهم دول الإقليم فيما يتعلق بالإجراءات والمسوح، والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع نظراً لامتلاكها المساحة الجغرافية الأكبر والأكثر ملاءمة لعيش النمر العربية، والتي تشمل مساحات شاسعة من مرتفعات جبال السروات على طول الساحل الغربي للمملكة، وحتى جبال مدين شمالاً والمناطق المتاخمة للحدود الأردنية. لهذا تنطوي الدراسات التي تجرى في المملكة على أهمية خاصة، وينظر إليها كمرجع رئيس وباعث للأمل في كل دول الجوار، وبيئات وجود النمر العربية إقليمياً.

وفي عام ٢٠٠٩ استضاف المشروع الخبير الأميركي رودني جاكسون، لإقامة ورشة عمل خاصة بكاميرات المراقبة، التي ترصد وتؤكد وجود الحيوان فعلياً بعد جمع المؤشرات والدلائل التي تضم مشاهدات السكان في البيئات المجاورة، والآثار الموجودة فيها، وحوادث متفرقة، ومؤسفة لتسمم أربعة نمر عربية مهددة بالانقراض، حيث ظن أهالي قرية



إحدى المحطات النادرة التي يرتاح فيها الفريق.

المغامرين، ففي المساء يتم إعداد الخارطة التي سيغطيها البحث والتي شملت منطقة مساحتها الإجمالية ١٤٠٠ كيلومتر مربع. وتستعرض هذه الخارطة على شاشة كبيرة بواسطة موقع «جوجل إيرث» ويعرض ثلاثي الأبعاد، ومن ثم تبدأ مناقشة جادة بين أعضاء الفريق لتحديد أهم المواقع التي سترصد فيها الكاميرات، ومن ثم تحدد عبر أجهزة الـ«جي بي إس»، وبعد هذا التحضير يخلد الفريق للنوم استعداداً ليوم حافل وطويل، لا عزاء فيه لمن لا يحتمل جسده المشي لمسافات طويلة، وتسلق الجبال والصخور، والانطلاق وراء النمر في دروبها الوعرة.

فريق ترحال
تصوير: ماجد المالكي

متكامل على نصب الكاميرات في البيئات الطبيعية للنمر العربي، وفي عام ٢٠١١ عقدت ورشة عمل أخرى مهمتها تدريب المشاركين على عمل الخرائط الإلكترونية والنماذج الحاسوبية لبيئات النمر العربي، بهدف تقدير وتحديد الأماكن التي سيتم البحث فيها بدقة عالية.

أما هذا العام، وخلال الجولة التي رافقتها «ترحال» فقد تمت إقامة ورشة عمل، أقامها خبير النمر الشهير، كوانتين مارتينيز، وهو خبير جنوب أفريقي، يعد أحد أفضل الخبراء في العالم في مجال تقفي آثار النمر واصطيادها، حيث أسر بمفرده أكثر من ثلاثين نمرًا، واستطاع تثبيت أجهزة التعقب والرصد الحديثة على أكثر من عشرين نمرًا في أنحاء متفرقة من العالم.

خلال الجزء العملي من ورشة العمل، تم العثور على آثار وجود العديد من الأنواع البرية المتداخلة مع النمر والموجودة في بيئاتها، ووضع الكاميرات في المواقع المحتملة، ودراسة وتحديد أهم مواقع وجود النمر.

يوميات المغامرة

البحث العملي، وتقفي آثار النمر العربي يبدأ قبل يوم من انطلاق